

كأخر من تبقى من حراسها يدافع عنها بشراسة... ويراهنا توائم البندقية في الدفاع عن الوطن

## الموسيقار سهيل عرفة لـ«البناء»: تجاهل أصحاب القرار للأغنية السورية تخريباً للهوية



### حاوره: بديع منير صنيج\*

على رغم البُحّة التي تلازم صوته، بسبب مرضه الذي أصاب حباله الصوتية، إلا أن الموسيقار سهيل عرفة ما زال، كما نعرفه، يملك صوتاً عالياً في وجه الخطأ، ويضع أصبعه في وسط الجرح تماماً. فيحسب رايه، لا أمجاد من دون الآم، وأكثر ما أزعجه في الفترة الأخيرة، وفي شهر رمضان بالتحديد، أن الإذاعة السورية كانت تفضل الرديء على الدرر التي تختزنها في أرشيفها من أغان وأناشيد تخص هذا الشهر، الأمر ذاته ينطبق على الأغاني الوطنية. إذ يستعرب الأصوات النشاز، التي تؤدي بشكل سيئ هذا النوع الغنائي، في حين أن مكتبة الإذاعة زاخرة بأغان فائقة الجمال لكثيرين من المطربين السوريين، وكان ثمة قصدياً في تعزيز الرداءة، وعدم اهتمام بالكفاءات القادرة على فرز الغث من السمين.

يبين عرفة كيف لحن لفنان الشعب رفيق سبيعي والمطربة نانسي زعلابي عدداً من الأغاني الوطنية، لكن الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون بثتها بضع مرّات من باب الواجب لا أكثر، رغم أنها تملك جميع مقومات الجمال، وهي أفضل بكثير من الكوارث السمعية التي تكرر الإذاعة ويحبها التلفزيون باستمرار.

يقول الموسيقار السوري في حديث إلى «البناء»: «عانت على وزارة الإعلام، واستعرب تقليص مساحة الأغنية على حساب «برامج التنفيس»، وأدعو الجميع لأن يتملأوا حالة الجندي السوري الذي يُدافع عن هويتنا جميعاً. برأيي، ينبغي إعادة بناء مبنى الإذاعة والتلفزيون، «بسبب الجرائم التي فيه»، والحفاظ على هوية الأغنية السورية. إذ يعد نفسه آخر حراسها، وعليه أن يُدافع عنها بشراسة.

عن هذه المواضيع وذكراياته الغزيرة مع صباح ومحمد عبد الوهاب وفيروز وغيرهم، كان هذا الحوار.

يوضح صاحب لحن «ع البساطة» أن في إذاعة دمشق كانت هناك دائرة للتنسيق، وكان مدير الإذاعة يكتب قائمة يومية بالأغاني التي ستذاع على الهواء، شرط أن تكون فيها نسبة 60 في المئة من الأغاني السورية.

ويضيف: «الإذاعة أكاديمية خرجت سهيل عرفة وعبد الفتاح سكر وعدداً من كبار المطربين والملحنين الذين استطاعوا أن يثبتوا مكانتهم العالية. فبعد الفتح سكر قدم الحاناً لكبار المطربين وتخصّص بفهد بلان، وأنا أيضاً قَدِّمت الكثير، لدرجة جعلنا المطربين المصريين يغنون باللهجة السورية ومنهم عبد المطلب، وشادية، ونليلي، وكان ذلك قبل دراما دريد لحام. نحن كملحنين صذرنا نجوماً إلى العالم العربي. صباح مثلاً عندما عدت إلى مصر زمن عبد الناصر بعد غياب عشر سنوات، على رغم أنه كان في حوزتها الحان لمحمد عبد الوهاب فيقولون وهية وغيرهما، إلا أنها غنّت «ع البساطة» من ألبانها. بمعنى أننا كسوريين غزونا مصر بالحنا، ولذلك على القائمين على الإذاعة السورية أن يفتخروا بنا كسوريين، فنحن من أوصلنا أنفسنا إلى ما وصلنا إليه. أنا كأخر من تبقى من حراس الأغنية ينبغي أن أدافع بشراسة عنها، فانا لا أدافع عن أشخاص، إنما عن قيمة ثقافية».

### أعداء الجمال

ماذا ينبغي أن نفعل؟ نسأل، فيجيب بقرعة كبيرة، ونصيحة من العيار الثقيل: «ينبغي أن نهضم معنى الإذاعة والتلفزيون ونعيد بناءه من جديد بالمعنى المجازي. ففقه الكثير من الجرائم التي لا تنتهي. ألا تذكرون أن أخدم فجر غرفة في المبنى بزمامه، العيب فينا».

نحاول أن نخفف عنه، محين حديثنا إلى لجنة تقييم الأغاني التي كانت مسؤولة عن فرز الغث من السمين، فيؤكد أن اللجنة ما زالت قائمة، وكان عضواً فيها، لكن «مؤخراً دائرة الموسيقى في ساحة حرب، وبجاعة إلى جهود حثيثة ووعي أكبر، ومعرفة بكيفية الاستفادة من الإرشاف. مثلاً، أنا الآن كل تفكيري منصب على حلب، وأفكر بتقديم أغنية عنها، كما قَدِّمت لرفيق سبيعي، هذه الشخصية الجذابة، أغنية».

لا تزعمي يا شام من قسوة الأيام ما زال فيكي عين ع الضيم ما يتنام بالله نعمت ما الله وتراك الغالي بكل النبي كل.

وهي من كلمات سامر غزال والحائي، وقام وزير الإعلام آنذاك عمران الزعبي بضاعة أجرة الكلام والدمع والفتنة تقديراً لنا. لكن هذا لا يكفي، ما دام لم تُدْعَ كما ينبغي، في حين قفان «شام إف إم» كانت تدينها باستمرار. معنى ذلك أن هناك أعداء للجمال داخل الإذاعة، على رغم أنهم أصدقاء الصديق رفيق سبيعي. أيضاً قَدِّمت للفتاة نانسي زعلابو صاحبة الإطالة والأشور الجميلين أغنية «ست الحبيب يا بلدي»، وكان مصيرها مثل سابقها، عدم الاهتمام كما يجب، وغيرها الكثير. هناك مصيبة في إذاعة دمشق، الإذاعة الأم، أنك تجد الأغاني المصرية والخليجية والعراقية لا ألب السورية. في رمضان لم تُدْعَ أي أغنية سورية، وهذا ما دعاني للاتجاه إلى الصحافة. مكتبة الإذاعة فيها أكثر من خمسة آلاف أغنية عربية عن رمضان من الخمسينات وحتى الآن، ويدل هذه الكثرة... سمعت أحدهم على الإذاعة وكان صوته نشازاً وبيكي على رمضان، ويندبه بين الفينة والأخرى، وكان رمضان مصيبة، ويدل الأغنية الوطنية الجميلة، أيضاً يُقدمون صوتاً نشازاً آخر يندب سورية والأغنية السورية. هذا غير معقول، وهناك برامج لا ترقى لأي مستوى، تحشر على حساب مساحة الإذاعة، من أجل منفعة هذا الشخص أو ذاك... لذا أدعو وزير الإعلام لأن يراقب ما تم بثه في رمضان، إن كان يحوي أي أغنية لفهد بلان أو فؤاد غازي أو مها الجباري أو صباح فخري أو عصمت رشيد أو رفيق شكري أو معين الحامد أو عبد الرزاق محمد... وغيرهم، فمثلاً، في الأغاني الوطنية: «صباح الخير يا وطن»، نالت الجائزة الأولى في أكثر من مهرجان، وحتى السعودية تبتها، وشاعرها يعني اسمه عباس الديلمي. أين «يسعد صباحك يا شام»، هل يُغزل أنا نحن الأغنية قُتبتنا مرتين أو ثلاثاً ثم نرميها؟ أليست هناك أغنية خاصة بشهر رمضان؟ أليست هناك أغان سورية؟ بلغ السيل الزبي!!»

### ردع وعتب

لا يتكفي عرفة بهذا القدر من «فش خلقه» والتنفيش عن هوموه، فشغفه يجعله شرساً في خصوص الموسيقى والأغنية والإنسان، يقول: «المدير العام رامز ترجمان بات وزيراً الآن، والمفروض أنه يعرف كل شيء، في المعنى هناك مخزون، إن تجاهل الأغنية

## الخليج يريدنا أن نكون مثل «باب الحارة» في إساءته للمجتمع السوري عموماً والنساء خصوصاً... نحن لسنا كذلك بل لدينا كولييت خوري ونجاح العطار وألفت الأدلبي وثريا الحافظ وجيهان الموسلي... ولدينا رئيسة لمجلس الشعب!

التعامل مع الكبار من موسيقيين ومطربين وملحنين... لذا، حاولنا عبر هذا الحوار أن نستزيد بشيء مما عنده، فكانت البداية مع ربي الجمال. يقول: إنها ضحية الإدمان، عندما توفي نجيب السراج كانت الوحيدة من الفنانين في جنازته، قالت لي حينذاك: لم يبق لي غيرك بعد نجيب. مرّة كنا نريد أن نكرمها في مهرجان الأغنية، وطرحت عليها أغنية وطنية لنجيب السراج، فوافقت عليها، ما معرفتي بعدم التزامها بمواعيدها، لذا قُمت باحتياطاتي بأن رُزيت عليها الكورال، وفعلنا لم تات في الوقت المحدد، فعناها الكورس، ربي الجمال أظلم صوت عرفته سورية، لكنها لم تحافظ على صوتها وموهبتها، والحائي كنت أأزبها عليها عبر التلفون، ومنها أغنية «أيام الهنا»، وهي عبارة عن قصة صبية تقول لحبيبيها:

نساءل الموسيقار السوري ما الحل؟ فيجيبنا ببساطة: «أولك بحاجة إلى ردع، والمخضرون من المخرجين العتب عليهم أكبر، لأنهم يعرفون ما يملكون من مخزون، ويصراحة الحكومة السابعة يجب مساءلتها، وستنتقل المسألة إلى الحكومة الحالية إن لم يتم إصلاح الأمور. فلا ينبغي أن يكون داعش من ناحية والحكومة من ناحية أخرى. ينبغي أن تكون هناك محاسبة، لا مجرد أن ترك المسؤول يذهب إلى بيته بعدما ينهب ما ينهبه بالاتكال على منصبه. بالمختصر، الأزمة أزمة

## يجب على القائمين على الإذاعة السورية أن يفتخروا بنا كسوريين وصلنا إلى ما نحن عليه بجهدنا... أننا لا أدافع عن أشخاص إنما عن قيمة ثقافية

أخلاق وضمير، في المحطات الإذاعية الخاصة لا يتقبلون الوساطات، بل هم بحاجة إلى أشخاص يملكون المعرفة ويستعرضون فيهم وليس بعيداً جداً عن وُجَع الأغنية، المواطن يتحدث عن الغلاء باستمرار، في السابق كان الراتب يكفي ويزيد، أما الآن فلا يعني شيئاً، في لبنان لا إنسان يشعر بالغلاء لأنهم يتعاملون بالدولار، السوريون ظلوا، وهناك أناس لا يستطيعون أن ياكلوا حتى التسقية. أيام عمر بن الخطاب كانت هناك امرأة تطيخ الحجارة، الآن يكرر المشهد ذاته في سورية، أين الحكومة من ذلك؟ إيران وروسيا والصين يساعدونها، ونعرف أن الموضوع دين ووفاء، لكن ما دمتم تستديون فاستدئوا أكثر، ودعوا المواطن السوري يعيش».

### أعظم صوت عرفته سورية

الفنان عرفة خزّان من التكريات، لا تلبث أن تذكر له اسما، حتى يخبرك أفاصيص وحكايات عمّا جمعهما. ففي تاريخه الفني الطويل، الذي زاد على خمسين سنة، أتيح له

## الموسيقى طاهرة ينبغي ألا نركب عليها كلاماً سخيضاً... فعندما يتوضأ الفنان بالموسيقى يُفسد وضوءه الكلام غير الجميل!



ضيوفاً يتاون ويرحلون، أما أنت فستلحن لي، هذه صباح. تشاكسه، لتعرف رايه الموسيقي بكل من صباح وفيروز، فيقول: «صباح لا ينقصها شيء حتى لو كانت وحيدة، أما فيروز، فيوجد الرحابية، لا ينقصها شيء».

سئله عن محمد عبد الوهاب، فيستذكر كيف أن إحدى القنوات الكويتية أجرت معه لقاء، وجاء هذا السؤال نفسه: ما رأيك بمحمد عبد الوهاب القديم والحديث؟ حينذاك اجبت: «عبد الوهاب أستاذ ثلاثة أجيال، ونحن كجيل ما لُنا تتغذى من مائدته». وأضافت: «أنا لا يحب لي أن أعطي رأياً فيه»، حينئذ جاء مهندس الصوت وطلب إعادة تسجيل الحلقة، واكتشفت أنه لم يكن يسجل اللقاء، حتى قلت ما قلته عن عبد الوهاب، وأخبرني بعبد أن كمال الطويل ومحمد الموجي يتكلمان بغيرور عنه، وكأنه رفيقهما في المدرسة، بعكس ما فعلت أنا.

محمد عبد الوهاب دمه خفيف، التقية في بلودان مع المطرب محمد سلمان، وحينذاك سأله مجموعة أسئلة، كالتالي: تسألني إياها الآن، وكانت إجاباته حادة في الذكاء والمعرفة كالآتي: ما رأيك بالسنباطي؟ بحر من الموسيقى، القصيبي؟ أول من طوّر الأغنية العربية وأستاذي في العود. زكريا أحمد؟ لو ملك نغمة الصبا. فريد الأطرش؟ بحر من الموسيقى الشرقية لكنه أحياناً يستعجل في الأغنية الشعبية. محمد الموجي؟ الكريات البيض والحمر كلها مزكاً. كمال الطويل؟ جملة موسيقية رشيقة. محمد فوزي؟ سابق عصره بمئة سنة وهو خليفتي. طيب وعبد الوهاب؟ «أنا كل دول»!

سئال والد الممثلة والمطربة الراقية أمل عرفة عن وديع الصافي فيقول: كان حساساً وراقياً في التعامل مع اللحن، والتعامل مع الكبار يريح كثيراً، سيد مكاوي وعمار الشريعي؟ «يبريان ما لا تراه نحن. فالشريعي يولف موسيقى تصويرية وكانه يرى المشاهد»، فائزة أحمد؟ «كنت أتمنى لو لُحت لها، لكنها كانت في مصر عند اعتمادها في افتتاح إذاعة دمشق كملحن». سعاد محمد؟ «اجتمعت معها في بيروت، وأذكر ما قاله عنها محمد عبد الوهاب عندما سألوه ألم تفكر أن تلحن لها، فاجابهم: كلما فطرت في ذلك إما تفكر أن تلحن لها، في طور الولادة»، مها الجابري؟ «من الأصوات العظيمة التي خسرتها»، ميادة الحناوي؟ «مكاتبها عظيمة، إلا أنه حتى تعرف هويتها، كانت ينيغي، في بداياتها، أن تغني باللهجة السورية لا المصرية، ولو من الشرات، وفي رأيي هذه خطيئتها الوحيدة، بدليل أنها بعد فترة طويلة غنّت باللهجة السورية ونجحت».

سئله عن نصيحته للفنانين الشباب بأن يقرأوا كتاب ذاكرته «الكلمة والنغم» ليعرفوا حجم العمل والمعاناة ثم يبدأوا، فيقول: راند المعاناة هو أبو خليل القباني حيث كانت في المجتمع عقول متحجرة أكثر، فيأسم الدين،



حريصاً جداً على ما اشتغل. فالموسيقى طاهرة لا ينبغي أن نركب عليها كلاماً سخيضاً، بل ينبغي أن يكون الكلام خدمة للمجتمع وفيه رسالة، فعندما يتوضأ الفنان بالموسيقى، يفسد وضوءه الكلام غير الجميل، بكل فخر أقول إنني لست أكاديمياً لكن الحياة علمتني، وخلال خمسين سنة عشت ضمن حالتين: فحالتنا الفشل والنجاح ينبغي على الإنسان أن يدرسها بشكل كامل لمعرفة أسباب الفشل وتعزيز أسباب النجاح، وأول نصيحة وجهتها لابنتي أمل: لا تفريحي كثيراً بالنجاح، بل ينبغي أن تحافظي عليه، وفي حال واجهتك ظروفاً قاسية تحافظي على مكانك، والمهم ألا ترجعي إلى الخلف.

### لا أحب أن أقلد غيري

سئله: هل ثمة لحن كنت تتمنى لو أنك من لحنه؟ فيرد بكامل النقة: «لا أحب أن أقلد غيري، لكن اللحن الجميل يُشكّل لدي حافزاً كي أصنع مثله، فمثلاً أحببت كثيراً لحن سيد مكاوي لصباح «أنا هنا يا ابن الحلال... لا أنا عابزة جاد ولا كتر مال». ففيه رائحة الحارة الشعبية المصرية. لذا، أهديت مرّة صباح في عيد ميلادها لحناً لكلمات عمر حليبي: «والله ثم والله... يا أسمراني اللون»، وكانت حينذاك على صداقة مع رجل أعمال سعودي، وكان موجوداً حينذاك، فطلب مني حضور حفل عيد ميلادها، فاعتذرت بسبب موعد للتسجيل ضمن التلفزيون العربي السوري، فسألني: كم فمن التسجيل في الشام؟ قلت: 170 ورقة، فقال لي أبق وأعطيك عشرة أضعاف هذا المبلغ، فأجمته: لا أبيع الموعد. حينئذ قال لصباح: هذا السوري من أجل موعد رفض عرضي، بينما صيوفاً يتخاطفون الشيكات من يدي خطفاً».

يختم «عرفة» حوار معنا: «اسم سورية مقدس بالنسبة لي، وكل السوريين أيضاً، وعلى رغم ذلك لم أضمّن في كل أغنيتاتي الوطنية التي ألقتها مؤخراً اسم سورية، إنما الشام، حتى يتغني بها أي إنسان عربي. الخليج يريدنا أن نكون مثل باب الحارة في إساءته للمجتمع السوري عموماً، والنساء بشكل خاص. نحن لسنا كذلك، عدنا كولييت خوري ونجاح العطار وألفت الأدلبي وثريا الحافظ وجيهان الموسلي وعدنا رئيسة لمجلس الشعب، والأهم عدنا صديقي ذاك الجندي الجالس في العراء وفي يده تقرير مصير سورية».

\* كاتب وإعلامي سوري

